تركيا والعرب بين التاريخ وتوازن المصالح (رؤية عربية)

Turkey and the Arabs between history and balance of interests (Arab vision)

أ.د. خضر عباس عطوان، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد العراق

ملخص الدراسة:

تسلط الدراسة الضوء على واقع العلاقات التركية العربية، وتستحضر البعد التاريخي وانعكاسه على الوضع الراهن للنظام الإقليمي العربي، أي تتبع العلاقات بين الطرفين على الصعد السياسية والامنية والاقتصادية ، خصوصا في ظل وجود نقاط تماس حرجة متمثلة بـ: سوريا والعراق وفلسطين، فالدراسة تعمل على تحليل الدور التركي في المنطقة العربية باستحضار البعد التاريخي ورؤية عربية.

الكلمات المفتاحية:

المنطقة العربية، العلاقات التركية العربية، السياسة الخارجية التركية، الشرق الأوسط.

Abstract:

The study sheds light on the reality of Turkish-Arab relations, and evokes the historical dimension and its reflection on the current status of the Arab regional system, Namely, the relations between the two sides at the political, security and economic levels, especially in the presence of critical points of contact represented by: Syria, Iraq and Palestine, the study is analyzing the Turkish role in the Arab region, recalling the historical dimension and an Arab vision.

Keywords:

Arab Region, Turkish-Arab Relations, Turkish Foreign Policy, Middle East.

مقدمة:

تعد دراسة العلاقة بين بلدين او طرفين واحدة من الحقول المهمة التي حضت باهتمام وتتبع في العلوم السياسية ، بقصد الوقوف على مضمونها وتصحيح مسارها من قبل صناع السياسات ، بما يخدم المصالح المشتركة.

ان العلاقات بين العرب وتركيا شهدت عبر مسارها الممتد الى نحو الف عام نقاط التقاء تاريخية مهمة ، كما انها شهدت بعض التوترات ونقاط الخلاف ، واليوم تقف على مفترق طرق مهمة ، فالعرب شبه ممزقين بين عدد كبير من الدول ، والاوضاع الداخلية في اغلب البلدان التي تحتضن وجودا عربيا تشهد حالات من عدم استقرار سياسي ، في حين ان تركيا تصمم سياساتها باتجاه هدف احتلال مكانة اقليمية ودولية ريادية .

وفي ظل حال كل من الطرفين العربي والتركي فان اعادة توصيف علاقة الطرفين مسالة مهمة من خلال مقاييس التاريخ والمصالح والتوجهات ، ليتم استقراء الاحتمالات التي يمكن ان تنتهي اليها خلال السنين القادمة .

اهداف البحث:

يهدف هذا البحث الى بلوغ الغايات التالية:

1. تتبع التحولات التاريخية المهمة في مسار تلك العلاقات
2. قراءة في تأثير المتغيرات المختلفة على مسار تلك العلاقة
3. تتبع العلاقات بين الطرفين على الصعد السياسية والامنية والاقتصادية ، خصوصا في ظل وجود نقاط تماس حرجة متمثلة بـ: سوريا والعراق وفلسطين
4. ما هي النقاط التي يمكن ان يتحقق فيها توازن للمصالح بين الطرفين العربي والتركي
5. تقديم تصورت للمستقبل بما يخدم تعزيز مسار تلك العلاقات

مشكلة البحث:

يتعامل البحث مع مشكلة يمكن صياغتها بسؤال مركزي مضمونه :

ما الذي يؤثر على مسار العلاقات العربية التركية؟ هل هو التاريخ ام توازن المصالح؟ وهل يمكن الارتقاء بتلك العلاقات في ظل عدم الاستقرار الذي تعيشه المنطقة العربية؟

وهذه المشكلة تطرح عدة تساؤلات للبحث ومنها :

كيف كان ماضي تلك العلاقات؟

وما الذي يؤثر على تلك العلاقات؟

وما هو واقع تلك العلاقات ، في ظل الاحداث التي تمر بها البلدان العربية وخاصة في العراق وسوريا وفلسطين؟

اين نتلمس توازن المصالح في العلاقات العربية-التركية؟ هل هو في التجارة ام في المياه ام في العوامل الاثنية ام في التوازن الاقليمي؟

وما هو المطلوب من الطرفين لكي يرتقوا بعلاقتهم بما يتناسب مع تاريخا الذي يغلب عليه الايجابية؟

فرضية البحث:

ان الفرضية التي ننطلق منها في هذا البحث هي:

ان توازن المصالح مدخل مهم لتعزيز العلاقات العربية التركية.

هيكلية البحث:

ان الهيكلية التي سنعتمدها في هذا البحث هي تقسيمه الى خمس فقرات وهي:

اولا-قراءة سياسية للتاريخ

ثانيا-تاثير المتغير الامريكي والاقليمي

ثالثا-واقع العلاقات: سوريا والعراق وفلسطين

رابعا-توازن المصالح: التجارة والمياه والعوامل الاثنية والتوازن الاقليمي

خامسا-ما مطلوب من الطرفين

وهو ما سيتم تناوله كالاتي:

اولا-قراءة سياسية للتاريخ

يعد التاريخ واحد من المفاتيح المهمة لدراسة الحاضر ، والتاريخ في العلاقات الدولية هو المراحل التي سارت عليها العلاقات بين طرفين.

وتتبع تاريخ العلاقات بين العرب والاتراك يرجعنا الى اصل كل من الطرفين ومواطن سكنهم ، اما العرب فهم فرع من الشعوب السامية التي استوطنت المشرق العربي وبعض مناطق شمال افريقيا ، ويوجد اختلاف في الحديث عن ظهور العرب وتاريخهم ، فهناك من يرجعهم الى نسب النبي اسماعيل عليه السلام ، وهناك من يتحدث عن وقت ظهور اللغة العربية ويرجعها الى الالف الاول قبل الميلاد ، وهناك من يتحدث عن وقت ظهور الممالك العربية واهمها مملكة لحيان في القرن الرابع قبل الميلاد ، وهناك من يصنف العرب بكونهم اهل البادية والقبائل المستوطنة في اليمن والجزيرة العربية ، وكل تلك المقولات هي آراء ، ونظريا يصعب تصور وجود مفاجئ لقوم بين ليلة وضحاها ، فالعرب ظهروا من سلالات واحفاد النبي نوح عليه السلام اي بعد الالف الثالث قبل الميلاد ، وصفتهم العربية التي تطورت بشكل متدرج طيلة المدة اللاحقة ، واستوطنوا الارض بين جانبي الخليج العربي والى ارض العراق الحالية وبلاد الشام واجزاء من مصر وشمال افريقيا.

اما الاتراك فهم من شعوب وسط اسيا ، ويجمعهم رابط اللغة، انتشروا منها ووصلوا الى الاناضول ، واليوم يستوطن الاتراك في تركيا وفي عدد من البلدان الاخرى .

واول مراحل التفاعل بين العرب والاتراك بدأت مع اتجاه العرب المسلمون الى فتح بلاد ما وراء النهر ، وعندها اخذ الأتراك بالتحول إلى الإسلام ، واندمجوا بالدولة، ومع الضعف الذي اخذ يصيب الدولة العربية-الاسلامية فانه بحلول القرن التاسع الميلادي تولت القوات التركية قيادة القوات العسكرية للخليفة العباسي ، ومع القرن الحادي عشر ارتفع شأن السلاجقة الاتراك في مقر الخلافة العباسي، وسيطروا على بغداد عام 1055 ميلادي.

واتجهوا الى التوسع في الاناضول بعد هزيمتهم للبيزنطيين واعتمدوا عاصمتهم في قونية عام 1097 ميلادي ، وفرضوا وجودهم على كامل اراضي الاناضول في القرن الثاني عشر حتى اصبحت تعرف بارض الاتراك .

ومع تمدد المغول في وسط وغرب اسيا اخذت الدولة السلجوقية تتفكك ، واخذت بعدها تظهر امارات تركمانية ، سرعان ما تمددت غربا ووصلت في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي الى شواطئ بحر ايجة ، وكان من بينها امارة بني عثمان ، التي اخذت تتمدد بسرعة في القرن الرابع عشر ، في الاناضول والبلقان ، وصولا الى فتح القسطنطينية عام 1453 على يد السلطان العثماني محمد الثاني ، لتتمدد بسرعة في اوروبا والمنطقة العربية والقوقاز في القرن السادس عشر واصبحت تدير المدن الاسلامية المهمة مثل مكة والمدينة المنورة والقدس ، حتى اصبحت تلك الدولة اهم الدول في العالم آنذاك .

وكان العرب احد اهم التكوينات الاثنية داخل تلك الدولة ال جانب الاتراك والاكراد وتكوينات اثنية اخرى يجمعهم رابط الاسلام ، الا انها اخذت تتراجع تدريجيا بحلول نهايات القرن الثامن عشر بفعل الحروب المفتوحة مع الدولة الروسية شمالا ، والدول الاوروبية من الغرب والجنوب الغربي ، ومن الجنوب الشرقي مع الدولة الفارسية ، ثم حدث ثلاثة تحولات مهمة تسببت بتراجع حاد لتلك الدولة تمثلا بـ:

-اعتماد الطابع المدني لادارة دولة ذات محتوى اسلامي من خلال اعتماد التحديث بصيغته الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

-ثم اعتماد حكومة الاتحاد والترقي لبرنامج التتريك في هذه الدولة في مستهل القرن العشرين

ولتتحول الدولة من مضمونها الاسلامي الجامع للعرب والاتراك والاكراد وغيرهم الى كونها دولة ذات محتوى تركي ، بفعل توجهات حكومة الاتحاد والترقي .

وهو ما قاد سريعا الى قبول الحكومة العثمانية عام 1920 لمعاهدة سيفر التي فككت الدولة العثمانية ، ورغم ان تلك المعاهدة تم الغاءها بجهد تركي الا انه انتهى الى الغاء السلطنة العثمانية وتأسيس الدولة التركية الحديثة ، وفي تلك الاثناء كانت المنطقة العربية واقعة تحت الاحتلال او الانتداب الاوروبي ، وتأسست بعده عدة دول عربية ومنها العراق وسوريا ، لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات بين الطرفين مضمونها اثني وسياسي سيادي وليس ديني اعتقادي اسلامي.

لقد اتجهت تركيا الى بناء هويتها القومية بعد العام 1923 ، واتجهت سياسيا الى محاولة التملص من تاريخها الاسلامي والشرق اوسطي لتربط نفسها قسرا بأوروبا والغرب ، في حين عانى العرب من الانقسام السياسي ، فلم يؤسسوا انموذج سياسي-ثقافي لهم ، وبقت هويتهم الثقافية ممزقة ، حتى العام 1989 عندما انحسرت الحرب الباردة ، ليجد الاتراك انفسهم امام التزامات جديدة في اطار العلاقات التركية الاطلسية ، وليجد العرب انفسهم امام مصير جديد يتمثل بمزيد من التفكك والانقسام.

وخلال المدة بين 1990- 2001 انتهى وضع الاتراك الى التحول بقبول صعود التيارات الاسلامية الى الحياة السياسية ، في حين ان البلدان العربية اخذت تدخل مرحلة ضعف الاستقرار السياسي ، وهو ما اشره للأولى صعود حزب العدالة والتنمية للسلطة عام 2002 ، في حين ما يؤشره للبلدان العربية احتلال العراق ثم احداث ما عرف بالربيع العربي. وخلال المدة بين 1990- 2017 فان العلاقات بين العرب

والاتراك اخذت تتحول من طابع ضعف الاهتمام التركي بالشؤون العربية ومحاولة اظهار الهوية الغربية لتركيا الى كون تركيا بلد يقع بين وسطين:

-فهي ترتبط مع العرب بروابط اسلامية

-وهي ترتبط مع اوروبا بروابط سياسية وثقافية

وكانت المحاولات التركية في تأكيد اهمية كل من الرابطين في الحياة السياسية التركية.

اما العرب فانهم اصبحوا بلا اولويات ، وذلك بفعل تأثير انظمة الحكم ودول الجوار غير العربية والغرب ، فكلها كانت تمارس ادوار سلبية في هدم أي محاولة لبناء اسس الدولة العربية الحديثة ، وكان منظور العرب الى تركيا متقلب من كونها تلتقي مع العرب بتاريخ وجغرافيا واحدة ، والاعتقاد والمياه وغيرها، الى كونها دولة مجاورة يمكن ان تحدث موازنة في الحياة السياسية العربية ازاء حجم الضغط من دول الجوار والغرب لتفكيك البلدان العربية.

ثانيا-تأثير المتغير الامريكي والاقليمي

لا تستطيع اي دولتين ان تنظم علاقاتها بمعزل عن البيئتين الإقليمية والدولية ، فالبيئات المحيطة والخارجية تبقى تمارس تأثيرها في وجه اي علاقة ، رغبة ان تبقى توازنات القوة والمصالح قائمة ومن ثم تبقى العلاقات الدولية مستقرة.

وتتبع العلاقات العربية-التركية في المرحلة الراهنة ، نجد انها علاقات تتأثر بمضمون متغيرين مهمين: اقليمي وامريكي ، فضلا عن المتغيرات الداخلية التي تعيد توجيه العلاقات بين الطرفين تعاونا او تنافسا او صراعا.

1-المتغير الاقليمي

وفيما يتعلق بالمتغير الاقليمي ، فهو يتمثل بالمتغيرات الايرانية والاسرائيلية ، اما ما يتعلق بإيران فإنها دولة قوية ترتبط مع العرب وتركيا بعلاقات متشعبة ، فالتاريخ والجغرافيا عاملين قادا الى استمرار الجوار والطابع الصراعي لتلك العلاقات عبر التاريخ ، ثم جاء تحميل إيران بمشروع اعتقادي بعد العام 1979 ليزيد سقف الصراع بين الطرفين .

ورغم ان إيران بلد متعدد الاثنيات (فرس 40% واذر 30% و اكراد 12% وعرب 6% بلوش 5% وتركمان 2% واثنيات اخرى 5%) والاعتقادات (70% شيعة و 25% سنة و 5% اعتقادات مختلفة ومنها: الزادشتية واليهودية والبهائية وغيرها) الا انها تتبنى هوية اعتقادية سياسية لها خصوصيتها ، والتي تستخدمها في علاقاتها مع البلدان العربية تحديدا.

في حين ان العلاقات التركية-الايرانية حملت تفاعلات متناقضة ، فمن الصراع بينهما بحدود القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، الى علاقات تنافس وتعاون طيلة القرون اللاحقة وصولا الى اليوم .

واليوم مضمون العلاقات بين البلدين يقوم على موازنة دقيقة بين توازن القوى وتوازن المصالح تتداخل فيها : الاعتبارات السياسية ، والعلاقات مع الولايات المتحدة ، وتوازن المصالح ، وتوازن القوى.

وتتبع تاثير المتغير الايراني في العلاقات العربية-التركية يلاحظ اننا هنا امام الاتي :

-ان وجود او حضور إيران في اي تفاعل عربي يقود الى تعزيز العلاقات العربية-التركية

-ان انسحاب تركيا وضغط الولايات المتحدة من اجل تمزيق البلدان العربية فانه يوجد مساحات اضافية لتمدد إيران في المنطقة العربية.

اما ما يتعلق بضغط (اسرائيل) ، فان هذا الكيان يمارس تأثيرات متباينة في العلاقات العربية-التركية ، فهذا الكيان انما وجد على حساب مناطق نفوذ الدولة العثمانية في اراضي فلسطين ، ومنذ تاسيسه ارتبط بالغرب كجزء من مشروع سياسي ثقافي غربي لتمزيق المنطقة العربية ، ورغم عدة حروب خاضها العرب منكشفين ضد هذا الكيان عام 1948 و 1956 و 1967 و 1973 و 1982 الا انهم كانوا يخسرون عسكريا وسياسيا ، وكانت روابط الانظمة العربية مع الولايات المتحدة واوروبا تمزق البلدان والمجتمعات العربية ، حتى اصبح هذا الكيان الاقوى عسكريا والاكثر استقرارا سياسيا[1].

اما علاقة ذلك الكيان بتركيا فانه اقترن بوجود توجه تركي لإنكار روابط تركيا مع العرب تاريخيا واسلاميا ، وهو ما قاد الى حضور تفكير تركي يرى ان التقرب من ذلك الكيان انما يمثل نوع من الردود الملائمة لما تسببت به ارادة القوميين العرب والشريف حسين عامي 1916- 1917 من التحالف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية ، كما ان العلاقة مع ذلك الكيان انما هو مدخل للتقرب الى الغرب وتأكيد جدية انكار تركيا لهويتها الاسلامية.

واتجهت العلاقة التركية الاسرائيلية الى الاتساع خلال المدة بين 1949- 2009 تحت تأثير الولايات المتحدة والمؤسسات العسكرية والامنية التركية والقوميين الاتراك ، ورغم ما حدث من ازمة في العلاقات بين الطرفين عام 2009 وما بعده الا انها لم تحدث تأثيرا استراتيجيا على علاقاتهما ، فتركيا ترى ان مصالحها اهم من علاقاتها مع العرب ، وهو ما يتطلبه توازن المصالح في العلاقات الدولية.

وتأثير هذا المتغير (الاسرائيلي) على العلاقات العربية-التركية يتضح من خلال رغبة (اسرائيل) بان تدخل المنطقة العربية مزيدا من التمزق ، وسحب تركيا الى علاقات استراتيجية تجعل ذلك الكيان مركز القيادة للعلاقات الإقليمية.

2-المتغير الدولي

وعلى صعيد البيئة الدولية ، هناك متغيرات عديدة تفرض تأثيرها على العلاقات العربية-التركية ومنها الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي وروسيا ، وسنركز على الولايات المتحدة.

تهتم الولايات المتحدة بالمنطقة العربية لأسباب تتعلق بموقع هذه المنطقة المتوسط بين قارات العالم ، وثقافيا فان هيمنة التيار الانجيلي البروتستانتي المتصهين على اعتقادات القوى الرئيسة في مراكز

صناعة القرار الامريكي يجعله يرى في معركة هرمجدون واحدة من الادبيات والاعتقادات التي تمهد لصناعة القرار السياسي الامريكي في المنطقة العربية ، وتلك المعركة ترى ان تأسيس (اسرائيل) الكبرى انما سيمهد لأحداث متتالية هي جزء من الاعتقادات التي يؤمن بها اليهود: الفوضى في المنطقة العربية ثم توحد المسلمين وهزيمة (اسرائيل) ونزول المسيح المنتظر[2]. والحلول التي تراها الولايات المتحدة لتأجيل نتائج التتبع في تلك الاحداث هو بتمزيق البلدان والمجتمعات العربية ومحاولات ضرب الاسلام من خلال التيارات التي لا تحترم الاسلام كشريعة ، ودعم التيارات الاعتقادية الشاذة التي يمكنها ان تقسم العالم الاسلامي.

وهنا ترتبط الولايات المتحدة بروابط واسعة مع العرب و(اسرائيل) وتركيا ، فقد زادت حضورها في المنطقة بعد حرب 1967 ، واصبحت تمتلك مفاتيح الاستقرار فيها ، وضغطها يكون دائما باتجاهات:

-دفع البلدان العربية في المنطقة الى عدم الخروج على الارادة الامريكية

-دفع البلدان العربية في المنطقة الى تفكيك متدرج

-ابقاء الشعوب العربية في المنطقة ضعيفة

اما العلاقات التركية-الامريكية فإنها واقعة ضمن تصنيفات سياسية ثقافية ، فسياسيا ترى تركيا ان مصالحها هي مع الغرب ، وان العلاقة مع الولايات المتحدة لا يمكن التفريط بها من اجل استقرار ووحدة البلدان العربية ، في حين انه ثقافيا تم التأسيس للعلمانية في تركيا ، بما يعطي انطباع ان تركيا بلد غربي وليس اسلامي شرقي ، وهو ما يعزز الاتجاه الى التعاون غير المحدود بين طرفين العلاقة التركي-الامريكي[3].

ومن ثم فان تأثير الولايات المتحدة في العلاقات العربية-التركية هو تأثير سلبي الا ان الولايات المتحدة تحاول ان ترح النموذج التركي الذي يزاوج بين حزب اسلامي ونموذج حكم علماني كنموذج يمكن للعرب تنفيذه في مجتمعاتهم ، اي اعادة صياغة جزئية لقبول بعض الاسلام وادخاله في السياسة ، واعطاء تصوير وهمي ان على الشعوب العربية ان تختار بين الاسلام المرغوب امريكيا وبين التيارات (الاسلامية) المتشددة التي تتمسك بنسخة مقلدة قريبة الشبه من نسخة الانجيليين في اظهار المخلص، وهي التي تؤمن باعتقاد (الفرقة الناجية) وتمارس شتى الانتهاكات في سبيل تحقيق رؤيتها تلك.

ثالثا-واقع العلاقات: سوريا والعراق وفلسطين

تتصف العلاقات العربية التركية بتعدد مستوياتها ومضامينها ، وتتوزع بين التعاون والتنافس المحدود والصراع على نطاق ضيق.

وتعد القضايا الاقتصادية من اكثر القضايا التي تتماس بها تلك العلاقات على مدى عدة عقود ، تليها القضية الكردية ، وفي القرن الحالي اخذت قضايا مستحدثة تضغط على طرفي العلاقة ومنها الموقف من العراق وسوريا وفلسطين.

ان ما ميز العلاقات العربية التركية بعد العام 1923 ، اي بعد تفكك الدولة العثمانية والغاء السلطنة ، هو اتجاه تركيا الى الانسحاب السياسي والامني من القضايا العربية ، فلم تتورط تركيا بالقضايا العربية ، ورغم ان العرب كانوا بحجة الى الدعم التركي في عدد من القضايا ومنها القضية الفلسطينية ، وقضايا التحرر العربي ، وغيرها في منتصف القرن الماضي ، الا ان تركيا كانت تفضل خيار الانخراط بالمشروع الغربي ، ولم تتحول عن عدم التورط الا بعد ان ادركت تركيا انها مهما قدمت للغرب سيبقى الاخير ينظر اليها انها دولة شرقية واسلامية ، وهو ما ظهر في القضية القبرصية ، وتسبب بان تعيد تركيا بعض اهتمامها بالقضايا العربية .

ثم حدث تحول محدود عام 1989 عندما انتهت الحرب الباردة ليعاد صياغة ادوار تركيا الإقليمية في الاستراتيجية الغربية ، واظهرت تركيا مواقف محدودة تجاه القضايا العربية الامنية والسياسية ومنها طرح نفسها كمساهم في رفد عملية التسوية من خلال مشروع انابيب مياه السلام ، ثم عادت وطرحت نفسها كانموذج سياسي للحكم يزاوج بين الاسلام والعلمانية ، عام 2002 وما بعده[4].

لقد اتجهت المنطقة العربية الى تحولات مهمة بعد حدث 11 ايلول 2001 ، اذ انغمست الولايات المتحدة بشكل مباشر لاحداث تحولات في اغلب البلدان العربية ، وكان الحدث الاول هو احتلال العراق عام 2003 ، وفيه تقاطعت الولايات المتحدة مع تركيا بشان حدث الاحتلال رغم انها لم تكن تمتلك بدائل سياسية اخرى غير القبول بالامر الواقع ، ورغم تسوية الاختلافات الاطلسية بشان حدث الاحتلال في قمة اسطنبول الاطلسية في يونيو 2004 الا ان تركيا فصلت بين:

-شق اقتصادي متطور في العلاقة مع العراق

-وشق سياسي يتسم بالتذبذب وهو اقرب الى الصراع منه الى التعاون بسبب وجود المتغير الايراني الضاغط على سياسة العراق الخارجية

وهذا التباين قاد الى عدة ازمات في العلاقات العراقية التركية ومنها ازمة التدخل التركي المتكرر في شمال العراق لضرب قواعد حزب العمال الكردستاني التركي ، الا ان تاثير ذلك على العلاقات العربية-التركية كان محدودا.

اما ما يتعلق بسوريا ، فان وضعها شهد بعض الاختلاف ، فالموقف من العراق كان يتعلق بادراك تركي ان الولايات المتحدة لديها استراتيجية في هذا البلد ، فكان تدخلها فيه محدود قياسا الى حجم النفوذ والتاثير الايراني بوصف إيران منافس تركيا الاقليمي الرئيس ، اما في سوريا فان تركيا بدأت سياستها مع سوريا عام 2004 بالانفتاح الواسع واقامة علاقات متعددة معها ، وقامت بدور الوسيط بينها وبين (اسرائيل) حتى العام 2008 عندما قامت الاخيرة بغزو قطاع غزة ، بمعنى انها ابطلت كل الجهود التي شهدتها عملية التسوية السلمية ، وبقت العلاقات التركية-السورية تشهد تطورا كبيرا حتى العام 2011 عندما اندلعت احداث الربيع العربي ، وتوسطت تركيا من اجل قيام النظام في سوريا باحتواء التظاهرات السلمية بالقيام باصلاحات تتناسب مع حجم المطالب والضغوط ومنع حدوث تداعيات خطيرة على سوريا والمنطقة. الا ان ما حدث خرج عن نطاق السيطرة بسبب اتجاه نظام الحكم في سوريا الى المراهنة على عامل القوة لاحتواء التظاهرات[5].

وخلال المدة بين 2012- 2014 انخرطت سوريا جزئيا في احداث سوريا ، ودون سقف التدخل المباشر قياسا بتدخل إيران وروسيا ، واسبابه انها عضو في حلف الناتو ولا يمكن ان تتورط بتلك الاحداث دون موافقة الحلف ، الا انها تاثرت بشدة بتلك الاحداث خاصة المتعلقة بتدفق اللاجئين السوريين اليها. واعطى الانخراط التركي الجزئي في تلك الاحداث انطباع ان تركيا بدأت تتراجع عن سياستها التقليدية في تجاهل التدخل السياسي والامني في المنطقة العربية .

واخذ مسار تدخلها يتطور في نهاية عام 2014 والنصف الاول من عام 2015 لاسباب اهمها:

-تشكيل التحالف الدولي لمحاربة الارهاب بقيادة الولايات المتحدة ، ومطالبة تركيا بالانخراط فيه

-ظهور إيران بمركز قوة اكبر من حجم قدراتها وتشارك بالتدخل على حدود تركيا الجنوبية وفي احد اهم مناطق نفوذها التاريخية وهي العراق وسوريا

-ظهور تركيا بموقف الضعف ازاء مناطق عدم الاستقرار على حدودها الجنوبية رغم عوامل قوتها الكبيرة ومسعاها لبلوغ مصاف القوى الدولية بحدود عام 2023

وبدأت تركيا بممارسة بعض الادوار الفاعلة في سوريا متمثلة بالتدخل العسكري عند بعض المناطق الحدودية ، وبمشاركة روسيا وايران في رعاية محادثات للتسوية في سوريا.

وبذلك تكون احداث سوريا واحدة من الاحداث التي اعطت انطباعات ومؤشرات عن وجود تغير محدود في سياسة تركيا العربية.

اما ما يتعلق بفلسطين ، فانها كانت تحت الادارة العثمانية لاكثر من اربعة قرون ، حتى سيطرت عليها بريطانيا ومنحتها الى (الكيان الصهيوني) ، واتجهت تركيا الى المسارعة بالاعتراف بهذا الكيان واقامة علاقات دبلوماسية معه لسببين:

1-كنوع من ردة الفعل على مواقف القوميين العرب والشريف حسين اثناء الحرب العالمية الاولى من الدولة العثمانية

2-وكجزء من رؤية مضمونها ان الاقتراب من الغرب يتم عبر البوابة الاسرائيلية.

وشهد العلاقات التركية-الاسرائيلية تطورات مهمة على مدى العقود التالية وصولا الى عام 2009 عندما حدث توقف بسيط عن النمو بسبب الموقف من قضية التسوية ومهاجمة قطاع غزة [6]، الا انها عادت واستأنفت نموها عام 2015 واسبابه مرتبط بإدارة الولايات المتحدة لملف الشرق الاسط وقضاياه وتفاعلاته.

لقد اظهرت تركيا بعض المواقف الداعمة للقضية الفلسطينية اكثر مما اظهره بعض العرب ، وهو ما كان يعني تراجع نسبي لأدوار مصر والاردن من ذلك الصراع ، واعطى لتركيا مكانة بين العرب بوصفها طرفا يمكن الاعتماد عليه نسبيا في دعم قضاياهم المصيرية بعد التراجع الذي اظهرته الانظمة العربية تجاه القضايا العربية عامة.

ان تلك المتغيرات مجتمعة ، اظهرت ان هناك ما يدفع العلاقات العربية التركية الى الامام وهناك ضغوط تكبحها ، والموازنة بين العوامل الداعمة والعوامل الكابحة تمارس تأثيراتها بشكل متباين ، فهي على اشده في اطار العلاقات العراقية التركية والسورية التركية ، الا انها تمارس تأثيراتها بشكل اقل حدة في باقي علاقات العرب بتركيا.

رابعا-توازن المصالح: التجارة والمياه والعوامل الاثنية والتوازن الاقليمي

والى جانب الموضوعات السابقة في العلاقات العربية التركية ، فانه هناك عدة علاقات اخرى مهمة تفرض حضورها في تلك العلاقات.

وتحليل العلاقات بين الطرفين يتضح ان هناك توازن للمصالح يفرض حضوره في وجه توازن القوى ، وموضوعات تلك العلاقات تتحدد بالاتي:

1-التجارة والاستثمار

تمثل التجارة المحرك الاول لتركيا قياسا بامن انظمة الحكم والاعتبارات الشخصية السائدة في السياسات العربية ، وتتبع حجم التجارة التركية يلاحظ عليها الاتي: انها ارتفعت من نحو 9 مليار دولار عام 2003 الى نحو 53 مليار دولار عام 2014 الى نحو 70 مليار دولار عام 2017 [7]، وتضمن سلع وخدمات مختلفة. واكبر شريك تجاري لتركيا (حجم تجارتها نحو 330 مليار دولار) هو الاتحاد الاوروبي يليه روسيا ، ثم بلدان المنطقة العربية.

اما البلدان العربية فان اغلب تجارتها هو مع الاتحاد الاوروبي والصين والولايات المتحدة واليابان ، في حين ان تجارتها مع تركيا تمثل حيز صغير من مجموع حجم التجارة العربية الكلي البالغ نحو 1.6 الف مليار دولار عام 2017.

وتركز تركيا على تطوير التجارة طالما انها مفتاح للنمو الاقتصادي ، وتسمح لها بالحصول على واردات النفط والغاز من البلدان العربية ، وبتشغيل شركاتها ، اما حركة الاستثمار فان تركيا ترغب بتدفق الاستثمارات العربية اليها ، وبلغت تلك التدفقات نسب مرتفعة من اجمالي تدفقات حركة الاستثمار الاجنبي الى تركيا ، وبلغت حجم التدفقات الاستثمارية العربية اليها نحو 250 مليار دولار بين العامين 2004- 2017 [8].

2-المياه

وتعد المياه واحدة من اهم موارد تركيا ، ويوجد بتركيا : " 26 حوضا مائيا ، و 120 بحيرة طبيعية و 579 بحيرة صناعية ، وتدفق الموارد المائية المتجددة تبلغ نحو 227 كم 3 في السنة ، منها 186 كم3 مياه سطحية متجددة (الانهار) ، و 69 كم3 مياه جوفية ، بينما الواحات والبحيرات تبلغ 28 كم 3. وتدخل الى تركيا 4.7 كم 3 من المياه في السنة ، منها 0.6 كم3 مِن نهر تونكا في بلغاريا ، و 1.2 كم3 من نهر العاصي من سوريا ، و 2.9 كم3 في السنة من نهر مريتش الذي ينبع من بلغاريا ويصب قريبا من الحدود بين تركيا واليونان ، في حين ان ما يخرج من تركيا يقدر بنحو 43.74 كم3 في السنة ، منها 28.1 كم3 إلى سوريا ، و 21.33 كم3 إلى العراق ، و 4.31 كم3 إلى جورجيا " [9] ، وهذه الارقام تعطي لتركيا ميزات على حساب العراق وسوريا.

3-العوامل الاثنية

وتتمثل بوجود الاثنيات التالية:

-الاكراد ، وهم مجموعة اثنية تبلغ نحو 40 -45 مليون انسان ، منهم نحو 20 مليون في تركيا ، و 7 مليون في العراق و 2 مليون في سوريا ، ويمثلون اكبر مجموعة لا تمتلك دولة ، وكان اول اتفاق عراقي تركي على مواجهة اي عصيان لهذه المجموعة عام 1930 ثم تكرر عام 1937 ثم عام 1984 ، وكلها تضمن سماح متقابل عراقي تركي (واقليمي) بضرب اي نشاط مسلح كردي عبر الحدود. وتستخدم تركيا ذريعة الانشطة الكردية المسلحة في تجاوز الحدود العراقية منذ العام 1991 ، واستخدمته في سوريا بعد العام 2015.

-التركمان ، وهم مجموعات اثنية لغوية تلتقي مع الاتراك ، وجاء تدفقهم على البلدان العربية في تاريخ متباين ، وهم يؤلفون نحو 4% من سكان العراق ، ونحو 5% من سكان سوريا ، ويوجدون في غيرهما ، وتؤكد تركيا بين حين واخر دعمها للمجموعات التركمانية

-العرب ، وتبلغ نسبتهم نحو 1% من سكان تركيا ، في المناطق التي اضيفت الى تركيا بموجب اتفاقات الحدود المتباينة مع العراق وسوريا. ولا يمثل الوجود العربي في تركيا ثقل ديموغرافي مهم ، رغم انه منذ العام 2003 اخذ يتدفق على تركيا نسبة كبيرة من اللاجئين العراقيين ثم السوريين بعد العام 2011.

4-توازن القوى

تعد تركيا واحدة من القوى العسكرية الكبيرة في المنطقة ، وتستند ايضا الى تحالف مع حلف الناتو في دعم قدراتها العسكرية ، ومنذ العام 2003 حدث بعض التغير في توازن القوى ، وهو ما تمثل بتمدد النفوذ الايراني في العراق ثم في سوريا بعد عام 2011 ، وهو ما اعطى مؤشرات على ان تركيا يجب عليها ان تتبع سياسات مغايرة لما قامت به قبل العام 2003 من اجل تاكيد نفسها كقوة اقليمية مهمة في الشرق الاوسط.

ان تلك الموضوعات تؤكد ان تركيا تتحرك في المنطقة العربية استنادا الى ما يعرف بتوازن المصالح ، اي تغليب لغة المصلحة على ما عداها ، وانها لم تسع الى تقديم الخيارات الامنية والعسكرية الا في نطاق هامشي جدا يتمثل بضرب المجوعات المسلحة الكردية العابرة للحدود مع العراق ، وتدخل سياسي محدود في الاحداث السورية ، واسبابه ترجع الى عاملين:

-الروابط التركية الاطلسية تجعل تركيا تتحرك وفقا لاتفاقات مسبقة مع الحلف

-ورؤية تركيا ان اولوياتها مع المنطقة العربية انما هي اولويات اقتصادية ، وان اهتمامها الاستراتيجي هو علاقاتها الغربية.

خامسا-ما مطلوب من تركيا

ان حقائق: الجوار والتاريخ والمصالح حاضرة في اي علاقة عربية-تركية ، وفرضت منطق التعاون اكثر منه منطق التنافس ، وتكاد تطغى على اي اتجاه اخر يمكن ان يظهر في تلك العلاقات.

ورغم من وجود علاقات عربية تركية متقدمة مع اغلب البلدان العربية ، ووجود بعض التوتر (المسبب) في علاقاتها مع العراق ومصر ، الا ان اغلب الرؤى العربية تتوقع ان يكون حجم الحضور التركي اكبر في المنطقة ، ويتم تقدير ذلك من خلال العوامل التالية:

-حجم المشتركات

-المصالح التركية

-الفراغ في المنطقة العربية

-حجم الحضور الايراني

-حجم التدخل الامريكي-الاسرائيلي.

ولا يمكن لوم الاتراك على النسب المتدنية لحضورهم في المنطقة العربية وتركيزهم على توازن المصالح وليس توازن القوى ، واي بحث في رفع الحضور التركي في المنطقة العربية يتطلب وضع مبادئ عامة للعلاقات العربية التركية ، وان ما تحتاجه تركيا لرفع سقف حضورها العربي هو:

- تحديد مصالحها
-والادوات الملائمة مع تلك المصالح
-والنظر الى حجم التورط الاقليمي والدولي في المنطقة العربية
-وحجم التشابك الداخلي في البلدان العربية.

ولا يمكن تصور ان الامر عائد لتركيا فقط في تطوير العلاقات العربية التركية ، وانما هناك البلدان العربية ، فما مطلوب من البلدان العربية لزيادة التعاون العربي التركي هو :

-تحديد احتياجاتها من الاستقرار والتنمية
-وتحديد ما مطلوب من تركيا ان تؤديه خدمة للمصالح العربية.

ان مراعاة تلك النقاط تبين ما مطلوب من تركيا ان تتبعه تجاه البلدان العربية ، سواء كان سياسيا او امنيا او اقتصاديا ، في حين ان البلدان العربية هي الاضعف في التحولات الإقليمية والدولية، بل ان بعضها اصبح هامشي لا يمكن ان يستقر على سياسة ضمن منظور استراتيجي على المدى المتوسط.

الخاتمة:

بينا في هذا البحث وجود خصوصية وميزات للعلاقة العربية التركية ، ومنها ان العلاقة هي بين تركيا كدولة وبين عدد كبير من البلدان العربية التي يجمعها روابط عامة ، والجامع لهذه العلاقة هو :

التاريخ والجغرافيا ووجود نهج تركي يرى بان الاهتمام السياسي والامني التركي بالمنطقة العربية هو اهتمام ضعيف .

ان اساس السياسة التركية الحديثة يرجع الى عام 1924 ، واختيار الخيار الغربي سياسيا وامنيا ، مع ظهور بعض التحول بعد العام 1989 ثم بعد العام 2002 ، ومضمونه ان تركيا لا يمكنها تجاوز حقيقة كونها بلد شرقي واسلامي في آن واحد.

اما البلدان العربية فهي بلدان ضعيفة غير مستقرة ، وهي ما زالت ترى اولوياتها في العلاقة مع الغرب ، وفراغ القوة الذي ظهر بعد احتلال العراق عام 2003 ، ثم بعد فوضى الربيع العربي عام 2011 ، فانه جعل المنطقة العربية تعاني من انكشاف حاد ، وكان يفترض بتركيا ان تكون من البلدان التي تساعد العرب على تجاوز تلك المحنة ، خاصة في القضايا المصيرية وحجم التدخل السلبي في الشان العربي ، ومنها قضية فلسطين ، وغيرها ، الا ان حجم الحضور السياسي والامني التركي كان محدودا بسبب روابط تركيا الاطلسية ، وتركيز تركيا على توازن المصالح على حساب توازن القوى .

ولا يمكن ان نتوقع بحصول تغيرات كبيرة في العلاقات العربية التركية في المستقبل القريب او المتوسط ، فهناك محددات ومتغيرات تضغط على تلك العلاقة ومنها البيئة الإقليمية والدولية.

قائمة المراجع:

1 - نظيرة محمود خطاب ، مشاريع وخطط اسرائيل للاختراق الامني والتفتيت في المنطقة العربية، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد 15، جامعة بغداد، 2012.

2 -فكرت رفيق شفيق السيد ، إسرائيل بين الدين و العلمانية دراسة في البعد الديني للنظام السياسي الإسرائيلي المعاصر (القدس نموذجاً)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، العدد 1، 2006.

3 -كوثر عباس الربيعي، العلاقات الامريكية - التركية في الميزان الاستراتيجي الدولي، مجلة السياسية والدولية ، العدد 25، 2014.

4 -حامد محمد طه السويداني ، التحولات السياسية والاقتصادية في المنطقة العربية وأثرها في العلاقات العربية التركية، مجلة دراسات اقليمية ، العدد 32، 2013.

5 -فيصل شلال عباس المهداوي ، الدور التركي في الأزمة السورية، مجلة الاستاذ، العدد 1، 2014.

6 -مازن خليل ابراهيم ، المتغيرات السياسية في العلاقات التركية (الاسرائيلية) للفترة من(2002م - 2013م) واثرها على القضية الفلسطينية، مجلة السياسية والدولية ، العدد 24، 2014.

7 -زيادة حجم التبادل التجاري بين تركيا والدول العربية إلى 70 مليار، صحيفة الشرق الاوسط اللندنية، الرابط: https://aawsat.com

8 -مؤتمر العلاقات العربية التركية يبدأ اليوم في الكويت، على الموقع: https://www.dailysabah.com

9 -اسراء محمود ، كيف استفادت تركيا من مواردها المائية؟ ، بتاريخ 9 ديسمبر 2015 ، على الرابط: https://www.turkey-post.net/p-94881/